مجلة الدراسات التربوية والعلمية - كلية التربية - الجامعة العراقية
العدد الخامس والعشرون - المجلد الثاني - التاريخ - آذار 2025 م
doi.org/10.52866/esj.2025.02.25.17

اوضاع اهل الذمة في ضوء كتب الرحلات

فاطمة عبود محمود المشهداني
كلية العلوم السياسية - جامعة بغداد

مستخلص:

حاولت في بحثي هذا ان اقدم صورة مختصرة عن اهل الذمة في حياة العامة في كتب الرحلات، وقسمت بحثي الى ثلاثة مباحث في المبحث الأول تناولت تعريف أهل الذمة لغة واصطلاحاً والمبحث الثاني عرفت الرحلة لغة واصطلاحا، والمبحث الثالث قسمته الى مطلبين، المطلب الأول تناولت فيه أوضاع اهل الذمة الاجتماعية والاقتصادية، والمطلب الثاني تكلمت فيه عن أوضاع اهل الذمة السياسية والدينية، فقد كتب الرحالة بنيامين التطيلي بشكل مفصل عن حياتهم العامة، اما ابن جبير فقد تطرق لهم في اثناء زيارته للمدن وتكلم عنهم بشكل مختصر اما ابن بطوطة فقد تطرق لهم عندما زار المدن وذكر علاقتهم مع المسلمين.

الكلمات المفتاحية: أهل الذمة، الرحلات، بنيامين، ابن بطوطة، ابن جبير.

Conditions of the People of the Covenant in the Light of Travel Books

Fatima Aboud Mahmoud Al-Mashhadani
Faculty of political science - University of Baghdad

Abstract :

In this research, I tried to present a brief picture of the People of the Covenant in the lives of the common people in travel books. I divided my research into three sections. In the first section, I dealt with the definition of the People of the Covenant in language and terminology. In the second section, I defined the journey in language and terminology. In the third section, I divided it into two requirements. In the first requirement, I dealt with the social and economic conditions of the People of the Covenant. In the second requirement, I talked about the political and religious conditions of the People of the Covenant. The traveler Benjamin of Tudela wrote in detail about their public life. As for Ibn Jubayr, he addressed them during his visit to the cities and spoke about them briefly. As for Ibn Battuta, he addressed them when he visited the cities and mentioned their relationship with the Muslims.

Keywords: People of the Covenant, Travels, Benjamin, Ibn Battuta, Ibn Jubayr.

المبحث الأول

تعريف أهل الذمة

أولاً: تعريف اهل الذمة لغة:

الذمة لغة: هو العهد والأمان والكفالة والحق والحرمة[1]. قال تعالى:﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً﴾[2] وقولهم رجل ذمي أي معناه رجل له عهد[3].

واهل الذمة هم اهل العقد والذمة الأمان في الحديث ((يسعى بذمتهم ادناهم))، والذمة الضمان والعهد وهم (اليهود والنصارى)[4].

قال ابن منظور: الذمة هي العهد والأمان والضمان والحرمة وسمي اهل الذمة بعد دخولهم في عهد المسلمين وامانهم وحمايتهم وإذ دعا المسافر وقال اقبلنا بذمة أي رددنا الى أهلنا امنين[5].

وقد ذكرت لفظة ذمة في احاديث كثيرة في قوله ﷺ ((وذمة المسلمين واحدة يسعى بها ادناهم))[6].

وقوله ﷺ ((فقد برئت منه الذمة))[7].

ومعنى الاحاديث تشير الى العهد والأمان والحفظ، واهل الذمة سموا بهذا الاسم لدخولهم في عهد المسلمين وامانهم لانهم ادوا الجزية فأمنو على دمائهم واموالهم[8].

ثانياً: تعريف اهل الذمة اصطلاحاً:

أهل الذمة وهم قوم من غير المسلمين عهداً على امنهم وانفسهم واموالهم واعراضهم وعقيدتهم، مقابل التزامهم بدفع الجزية[9].

وعرفهم القرافي ((هم التزامهم وتقريرهم في ديارنا وحمايتهم والدرء منهم بشرط بذل الجزية والاستسلام))[10].

---

(1) الموصلي، أبو الفتح عثمان بن جنى (ت: 392هـ- 1002م)، سر صناعة الاعراب، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، ج1، ص252.

(2) سورة التوبة، الآية: 10.

(3) الانباري، أبو بكر محمد بن القاسم بن محمد بن بشار (ت: 328هـ- 940م)، الزاهر في معاني اهل الناس، مؤسسة الرسالة ، بيروت، ط1، ج1، ص480.

(4) البعلي، محمد بن ابي الفتح بن ابي الفضل (ت: 709هـ- 1310م)، المطلع على الفاظ المقنع، مكتبة السوادي للتوزيع، ط1، ج1، ص263.

(5) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين بن محمد بن مكرم الافريقي (ت: 771هـ- 1370م)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، 1955م، ج12، ص221 ؛ ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن الازدي (ت: 321هـ- 933م)، جمرة اللغة، طبعة دائرة المعارف العثمانية، الهند، 1345هـ، ج1، ص80.

(6) البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم (ت: 256هـ- 869م)، الجامع الصحيح المعروف بصحيح البخاري، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الايمان، مصر، 2003، ص668.

(7) ابن الاثير، مجد الدين ابي السعادات المبارك بن محمد الجزري (ت: 606هـ- 1210م)، النهاية في غريب الحديث والاثر، تحقيق: محمود محمد الطناحي وطاهر احمد الزاوي، المكتبة الإسلامية، السعودية، 1963م، ج2، ص168.

(8) ابن فارس، أبو الحسين احمد بن زكريا (ت: 395هـ- 1005م)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ط1، 1979م، ج2، ص346.

(9) أبو يعلي، محمد بن الحسين الفراء الحنبلي (ت: 458هـ- 1066م)، الاحكام السلطانية، طبعة عيسى البابي الحلبي، ط2، مصر، 1966م، ص154 ؛ الرحيباني، مصطفى السيوطي، مطالب اولي النهي في شرح غاية المنتهى، المكتب الإسلامي، بيروت، 1994م، ج2، ص 519.

(10) القرافي، أبو العباس شهاب الدين احمد بن ادريس بن عبد الرحمن المالكي (ت: 684هـ- 1286م)، الذخيرة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ج3، ص451.

المبحث الثاني

ادب الرحلة

تفسير الرحلة كباقي الفنون الأدبية فهي مرتبطة بالجغرافية والتاريخ فأدب الرحلة عرفته أمم كثيرة مثل الفراعنة والاغريق والرومان.

أولاً: الرحلة لغةً:

ورد لفظ الرحلة في العديد من المعاجم والقواميس، فأسم الرحلة بالكسر، وهي ارتحال الوجه الذي تريده، تقول: اتم رحلتي وهي الشقة، والسفر البعيد[1].

والرحلة الارتحال أي القوة على الرحيل والرحلة بالكسر اسم الهيئة والنوع من الرحيل كالركبة والجلسة وجمعها الرحل، ونسبة ذلك برحل الرجل وهو منزله وقيمته في السفر ويقال: قد رحل، أي سار في رحلته وقد ارتحل ارتحالا، والرحال كثير الرحلة، وكل منزل ينزله الرجل يسمى رحلة، وجمعها مراحل، والمرحل من البرود والوشي، وما عمل فيه مورد الرحالة وقد ترحل القوم وارتحلوا[2].

ثانياً: الرحلة اصطلاحاً:

ان الرحلة ازدهرت على مرور الزمن، وتطورت بتطور الثقافات والحضارات فالرحلات: ((مجموعة الاثار الأدبية، تتناول اراء وانطباعات المؤلف عن رحلاته في البلدان المختلفة، ويكتب ما يراه من عادات وسلوك واخلاق بتسجيل دقيق للمناظر الطبيعية التي يشاهدها، ويسرد مراحل رحلته مرحلة مرحلة ويجمع بين كل هذا في آن واحد))[3].

فالرحلة: ((ادب يقوم على السرد القصصي مما يشاهده الرحالة في البلاد التي يزورها، وهي تقوم على وصف الطبيعة الجغرافية او عن التاريخ او عادات الناس، وتقاليدهم وانماط عيشهم وتفكيرهم، وهذه الرحلات تكون مرجعاً وثائقياً هاماً، وموضوعاً للدراسات المقارنة في مختلف المجالات الأدبية والحياتية والفكرية، ومن شروط ادب الرحلات دقة الملاحظة، وتحري الحقيقة، وحسن التصرف))[4]. وهي من الصفات التي يجب توفرها في الرحالة.

المبحث الثالث

اهل الذمة في كتب الرحلات

المطلب الأول: أوضاع اهل الذمة الاجتماعية والاقتصادية:

اهل الذمة هم اليهود والنصارى وانهم اهل الكتاب، وسمي بهذا نسبة الى الكتب السماوية التي انزلت عليهم، وهي التوراة التي انزلت على نبي الله موسى عليه السلام[5] والانجيل الذي نزل على نبي الله

(1) ابن السكيت، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق (ت: 244هـ- 859م)، اصلاح المنطق، تحقيق: محمد مرعي، دار احياء التراث العربي، ط1، 2002، ص91؛ السيوطي، عبد الرحمن بن ابي بكر (ت: 911هـ- 1506م)، المزهر في علوم اللغة وانواعها، تحقيق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998، ج2، ص250.

(2) ابن المرزبان، أبو محمد عبد الله بن جعفر بن محمد (ت: 347هـ- 959م)، تصحيح الفصيح وشرحه، تحقيق: محمد بدوي المفتون، المجلس الأعلى للشؤون العلمية، القاهرة، 1998م، ص366.

(3) مجدي، وهبة، و المهندس، كامل، معجم المصطلحات العربية في اللغة والادب، ط2، مكتبة لبنان، بيروت، 1999م، ص17.

(4) الشعار، فواز، الموسوعة الثقافية العامة، اشراق اميل يعقوب، ط1، دار الجيل، بيروت، 1999م، ص197.

(5) الطبري، محمد بن جرير (ت: 310هـ- 923م)، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم،

عيسى عليه السلام [1].

وهذا ما ورد في القرآن الكريم من الآيات في قوله تعالى﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾[2]، وقوله تعالى:﴿وَإِنَّ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَمَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ﴾[3]، وقوله تعالى:﴿أَن تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلۡكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيۡنِ مِن قَبۡلِنَا﴾ [4]. ان هذه الآيات بينت اهل الكتاب وان مجيء الإسلام وانبعاث النبي محمد ﷺ والذي أرسل رسولاً الى جميع البشر دون استثناء وذلك في قوله تعالى:﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ﴾ [5]، وقوله تعالى:﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا﴾ [6]، وعند انتشار الإسلام ودخول اليهود والنصارى في ذمة المسلمين اطلق عليهم اسم اهل الذمة واحتفظوا بتسمية اهل الكتاب، ومنحهم الإسلام العهد والأمان[7].

ان انتشار اليهود في مناطق المشرق العربي يعود الى قرون بعيدة فسكنوا ايران وبلاد ما وراء النهر وغيرها من المدن، فهم يمارسون حياتهم وطقوسهم وتكثر تجمعاتهم وافترقوا في البلدان والمناطق الاخرى فازداد اعدادهم ونزوحهم من بلد الى اخر واستقروا في عدة مدن منها مدينة همذان[8] التي تضم نحو خمسين الف يهودي[9] ومدينة أصفهان[10] التي كانت تسمى (كور يهودان) وتعني سكة اليهود[11].

وينتشرون في العديد من المدن الكبرى وفي المدن التي لم تشتهر لاسيما في بلاد الاندلس والمغرب وشبه الجزيرة العربية ومصر والشام وشمال العراق وجنوبه.

دار المعارف، ط2، مصر، 1967م، ج1، ص385 ؛ المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين (ت: 346هـ- 958م)، التنبيه والاشراف، تصحيح: عبد الله إسماعيل الصاوي، دار الصاوي، القاهرة، 1938م، ص156.

(1) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تصحيح: شارل بلا، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1966، ج1، ص71.

(2) سورة آل عمران، الآية: 65.

(3) سورة آل عمران، الآية: 199.

(4) سورة الأنعام، الآية: 156.

(5) سورة الاعراف، الآية: 158.

(6) سورة سبأ، الآية: 28.

(7) الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب (ت: 450هـ- 1059م)، الاحكام السلطانية والولايات الدينية، دار الكتب العلمية، بيروت، 1405هـ، ص152؛ ابن قيم الجوزية، شمس الدين، ابي عبد الله محمد بن ابي بكر الدمشقي (ت: 751هـ- 1351م)، احكام اهل الذمة، تحقيق: عادل سعد، مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، 2004م، ج1، ص19.

(8) همذان: بفتح الهاء والميم والذال، مدينة كبيرة وسط الجبال، منها الى مدن حلوان او مدن العراق سبعة وستون فرسخاً وهي طريق الحاج والقوافل بها مياه وبساتين وزروع كثيرة. اليعقوبي، احمد بن ابي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح (ت: 292هـ- 905م)، البلدان، المطبعة الحيدرية، ط3، النجف، 1957م، ص36 ؛ القزويني، زكريا بن محمد (ت: 682هـ- 1284م)، اثار البلاد واخبار العباد، طبعة صادر، بيروت، 1969م، ص127.

(9) التطيلي، بنيامين بن يونه النياري (ت: 569هـ- 1174م)، رحلة بنيامين التطيلي، ترجمها عن النص العبري: عزرا حداد، طبعة المجمع الثقافي، الامارات، 2002م، ص331.

(10) اصفهان: بكسر الالف وسكون الصاد، مدينة في بلاد الجبل وتنسب الى أصفهان بن يافث بن نوح وهي اخصب البلاد واوسعها، وفيها معدن الكحل، سكنها اليهود. ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن حوقل البغدادي (ت: 367هـ)، صورة الأرض، دار صادر، بيروت، 1938م، ص362.

(11) التطيلي، رحلة بنيامين، ص332.

كانت أحوال اليهود في المشرق الإسلامي في افضل حال فكان استقرارهم الديني والاقتصادي والسياسي يعكس على حياتهم الاجتماعية فقد ذكرهم بنيامين في رحلته ((كان يهود الشرق عانوا أحيانا بعض الشدة في عهود الانحطاط من بعض الامراء المتقلبين فان الأوضاع الشاذة ما كانت تدوم الا امدا قصيرا، اذ لم تكن هناك خطة اضطهاد مرسومة وسياسة عداء مقررة، ولم تبلغ الحال بالطرد الجماعي او القتل بالجملة مثلما كان يحدث في أوروبا، لذلك كان يهود الشرق يعيشون في استقرار واطمئنان، فلم يكن ثمة مبرر مبارحتهم ديارهم الى بلاد الغرب))[1].

كان اليهودي في الشرق لم يضطر الى السفر والمتاجرة الى الغرب؛ لأن المناطق التي يعيش فيها هي مصدراً للبضائع والسلع كما قال بنيامين في رحلته ((اما السفر بقصد التجارة والبيع والشراء فلم يكن مما يضطر اليه يهودي الشرق الى خوض البحار وتجشم الاخطار، ذلك لان البلاد التي يعيش فيها كانت مصدر اكثر البضائع والسلع في القرون الوسطى، وكان لزاماً على الأوروبي دون الشرقي ان يقصد البلدان التي كانت في تلك الاحقاب المركز التبادل التجاري بين الشرق والغرب، وكان الاتجاه دائما من الغرب صوب الشرق))[2].

وأيضا أشار بنيامين الى اعيادهم ولهم الحق في احياءها واحياء مناسباتهم الاجتماعية ومنها عيد الفصح[3] وعيد الكفارة وهو عيد لتكفير الذنوب ((الذي يصومون فيه ويشددون به ولا يستثنون منه حتى الأطفال والرضع))[4].

(1) التطيلي، رحلة بنيامين، ص132.
(2) المصدر نفسه، ص133.
(3) المصدر نفسه، ص375.
(4) المصدر نفسه، ص376.

وايضاً ذكرهم ابن جبير في رحلته في قوله: ((ومن العجب ان النصارى المجاورين لجبل لبنان اذا رأوا به بعض المنقطعين من المسلمين جلبوا لهم القوت واحسنوا اليهم، ويقولون: هؤلاء ممن انقطع الى الله ﷻ فتعجب مشاركتهم))[5].

واذا علقنا على كلام ابن جبير، وهو مسلم عاصر الحروب الصليبية ابان قسوتها وضراوتها، فاننا لا نقرر الا انها عقلية عالمية منصفة لم يعمها التعصب الديني البغيض[6]. فانه ذكر ان هناك مودة وعلاقات تجارية واجتماعية بين المسلمين والمسيحيين، من قوله: ((ومن اعجب به ان نيران الفتنة تشتعل بين الفئتين، مسلمين ونصارى، ربما التقى الجمعان، ويقع المصاف بينهم، ورفاق المسلمين والنصارى تختلف بينهم دون اعتراض عليهم، شاهدنا في هذا الوقت الذي هو جمادي الأولى من ذلك خروج صلاح الدين بجميع عسكر المسلمين لمنازلة حصن الكرك، وهو من اعظم حصون النصارى، وهو المعترض في طريق الحجاز والمانع لسبيل المسلمين على البر...، وطال الحصار واختلاف القوافل من مصر الى دمشق على بلاد الافرنج غير منقطع واختلاف المسلمين من دمشق الى مكة كذلك، وتجار النصارى أيضا لا يمنع أحدا منهم ولا يعترض، وللنصارى على المسلمين ضريبة يؤدونها في بلادهم وهي من الامنة على غاية ، وتجار النصارى أيضا يؤدون في بلاد المسلمين على سلعهم والاتفاق بينهم والاعتدال في جميع الأحوال، واهل الحرب مشتغلون في حربهم، والناس في عاقبة والدنيا

(5) ابن جبير، محمد بن احمد بن جبير الكناني (ت: 614هـ-1218م)، رحلة ابن جبير، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ج1، ص234.
(6) رمضان، احمد، الرحلة والرحالة المسلمون، دار البيان العربي للنشر والتوزيع، ص336.

لمن غلب، هذه سيرة البلاد في حربهم، والفتنة الواقعية بين امراء المسلمين وملوكهم لذلك، لا تعترض الرعايا ولا التجار، فالأمن لا يفارقهم في جميع الأحوال سلما وحربا، وشأن هذه البلاد في ذلك اعجب من ان يشذ في الحديث عنه[1].

وذكر ابن جبير ان الغلامين المسلمين في الأرض التابعة للنصارى كانوا يعيشون في رخاء يحسدهم عليه الغلامين الذين يعملون في ملاك المسلمين وفي ذلك يقول: ((ورحلنا من تبنين[2]. سحر يوم الاثنين وطريقنا كله ضياع متصلة وعمائر منظمة، سكانها كلها مسلمون وهم مع الافرنج على حالة ترفية، وذلك انهم يؤدونهم نصف الغلة، عند أوان ضمها وجزية على كل رأس دينار، وخمسة قراريط[3]. ولا يعترضهم في غير ذلك، ولهم على ثمر الشجر ضريبة خفيفة يؤدونها أيضا، ومساكنهم بايديهم وجميع احوالهم متروكة لهم وكل ما بأيدي الافرنج من مدن بساحل الشام على هذا السبيل، ورسانيقها كلها للمسلمين وهي القرى والضياع، قد اشريت الفتنة قلوب اكثرهم، لما يبصرون عليه إخوانهم من رسانيق المسلمين وعمالهم، لانهم على ضد احوالهم من الترفيه والرفق، وهذه من الفجائع الطارئة على المسلمين ان يشتكي الصنف الإسلامي جور صنفه المالك له، ويحمد سيرة ضده وعدوه المالك له من الافرنج ويأنس بعدله))[4].

وذكر اهل الذمة ابن بطوطة في رحلته عندما وصل الى بغداد ووصفها بقوله: ((ثم الى بغداد ووصلتها في شوال سنة ثمان وأربعين، ولقيت بها المغاربة فعرفني بكائنة طريق، واستيلاء الروم على الخضراء ... ، ثم رحلت من بغداد فوصلت الى مدينة الانبار ثم هيت ثم الحديثة ثم الى عانة، وهذه البلاد من احسن البلاد واخصبها والطريق فيها كثير الصهارة كأن الماشي في سوق من الأسواق وذكرنا انا لم نر ما يشبه البلاد التي على نهر الصين الا هذه البلاد، ثم وصلنا الى مدينة الرحبة وهي تنسب الى مالك بن طوق، ومدينة رحبة احسن بلاد العراق، وأول بلاد الشام ثم سافرنا الى السخنة وهي بلدة حسنة، اكثر سكانها الكفار من النصارى))[5].

وأيضا ذكر أحوال اهل الذمة عندما وصل الى مدينة انطاليا وهي تختلف عن انطاكية التي في الشام، ذكر ابن بطوطة كان هذه المدينة كل فرقة من سكانها منفردة بنفسها عن الفرقة الأخرى في قوله: ((وهي من احسن المدن متناهية في الاتساع الشاخة والضخامة اجمل ما يرى في البلاد واكثره عمارة واحسنه ترتيبا وكل فرقة من سكانها منفردة بأنفسها عن الفرقة الأخرى فتجار النصارى ماكثون ...، منها بالموضع المعروف بالميناء وعليهم سور تسد ابوابه ليلاً، والروم ساكنون بموقع منفردين به عليهم أيضا سور، واليهود في اخر

(1) ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص235-234.

(2) تبنين: بكسر اوله وتسكين النون وياء ساكنة، بلدة في جبال بني عامر المطلة على بلد بانياس بين دمشق وصور. الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي (ت: 626هـ- 1229م)، دار صادر، ط2، بيروت، 1995، ج2، ص14.

(3) قراريط: هي أصناف المثاقيل. ابن الاثير، أبو الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد (ت: 630هـ- 1233م)، الكامل في التاريخ، تحقيق: عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1415هـ، ج4، ص167.

(4) ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص248-247.

(5) ابن بطوطة، محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم (ت: 779هـ- 1378م)، رحلة ابن بطوطة تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار، دار الشرق العربي، ج2، ص504-503.

وعليهم سور، والملك اهل دولته...، والمسلمين يسكنون المدينة العظمى))[1]. من ذكر ابن بطوطة بأن اهل الذمة يعيشون في رفاهية وحرية كبيرة في ممارسة طقوسهم وحياتهم العامة مع المسلمين.

وذكر أيضا بان ابن بطوطة عند وصوله الى دير الفاروص وهو اعظم دير بالشام ومصر ذكر بان النصارى يضيفون المسلمين والمارة من الدير وهذا اما يعكس العيش بين المسلمين واهل الذمة في سلام وامان. في قوله: ((وبخارج اللاذقية الدير المعروف بدير الفاروص يسكنه الرهبان ويقصده النصارى من الافاق وكل ما نزل به من المسلمين فالنصارى يضيفونه وطعامهم الخبز والجبن والزيتون ...، وهي من احسن المراسي بالشام))[2].

المطلب الثاني: أوضاع اهل الذمة السياسية والدينية:

منع اهل الذمة من تولي المناصب في الدولة الإسلامية منها الاموية والعباسية الا ما ندر فبعض القرارات والاوامر فيها نوع من التسامح والتساهل الذي ابداه بعض الخلفاء.

ذكر الرحالة بنيامين في رحلته بأن اليهود والمسلمين كان بينهم تحالف في قوله: ((للمسلمين واليهود على انهم خلفاء، فهل التحالف الأوربي اليهودي اليوم نوع من تصفية الحسابات التاريخية؟ وهل هو حقاً تحالف سيدوم))[3].

لم يذكر الرحالة بنيامين بان اليهود تولوا مناصب في الدولة الإسلامية الا بعض المناطق التي كانت تكثر فيها اليهود[4].

وأيضا اعجب الرحالة بنيامين عندما زار بغداد ووصف مشاهده في وادي الرافدين بأن هناك جماعات يهودية تنعم بالطمأنينة والرفاهية في ظل الخلافة الإسلامية، في عصر لم يكن يهود أوروبا يعرفون سوى الإرهاق والاضطهاد الديني والاقتصادي، فأخذ يمدح خليفة المسلمين بالتقوى والاستقامة[5].

ذكر بنيامين بأن التسامح الديني والسياسي بين النصارى والمسلمين كان في منتهى الاطمئنان والأمان في قوله: ((نظراً لبقاء العلاقات السياسية متوترة بين المسلمين والروم، فأن مذكرات مشاهير الحجاج النصارى خلال المدة التي انصرمت بين الفتح الإسلامي والحروب الصليبية لا تدل على أي اثر لاعتداء المسلمين عليهم الا فيما ندر من بعض الحوادث الفردية التي قلما يخلو منها زمان او مكان، اما سياسة الدولة بوجه عام فكانت منتهى التسامح الديني لأصحاب الكتب السماوية))[6].

وأيضا ذكر بنيامين في رحلته عن احوالهم السياسية في قوله: ((فمن الوجهة السياسية كانت القرون الوسطى شديدة الوطأة على يهود أوروبا بأجمعها، اذ استثنينا اسبانية الإسلامية، ذاقوا فيها ضروب التعسف والاضطهاد والتقتيل والتشريد ما يعجز عن تبيانه القلم، اما يهود الشرق، فكانوا اسعد حظاً واكثر استقراراً واطمئناناً على ارواحهم وموطنهم واموالهم من إخوانهم الغرب، فقد ترك لهم خلفاء المسلمين وسلاطينهم حرية الايمان والمعتقد وامنوهم على ارواحهم وما ملكت ايمانهم بدافع الشرع القويم والعرف والتسامح، فلم يكن اليهودي، وهو من اهل الذمة ملزماً بأكثر من جزية[7] بسيطة يدفعها الى بيت مال المسلمين لقاء

(1) ابن بطوطة، المصدر نفسه، ج1، ص218.
(2) ابن بطوطة، المصدر نفسه، ج1، ص61.
(3) التطيلي، رحلة بنيامين، ص55.
(4) التطيلي، المصدر نفسه، ص232-230.
(5) التطيلي، المصدر نفسه، ص143-142.
(6) التطيلي، رحلة بنيامين، ص136.
(7) الجزية: وهي حق أوصى الله سبحانه وتعالى المسلمين

حصوله منهم على حقوقه المشروعة))[1].

اما ابن جبير ذكر بأن اهل الذمة يعيشون في سلام مع المسلمين وهم يؤدون الجزية اليهم في قوله: ((وحامين القسطنطينية يؤدي الجزية، وهو من العدل في رعيته على سيرة عجيبة))[2].

وأيضا ذكر عندما زار مدينة اطرابتش ((وهي مدينة صغيرة المساحة مرساها من احسن المراسي بينها وبين تونس مسيرة يوم وليلة...، سكانها المسلمون والنصارى، ولكلا الفريقين فيها مساجد والكنائس))[3].

وقال ابن جبير بان صاحب القسطنطينية لم يزل يؤدي الجزية للمسلمين[4].

وهنا يذكر ابن جبير بان المسلمين والنصارى كانت حياتهم السياسية والدينية من ظل حكم المسلمين حياة يملؤها الوفاق والسلام.

ذكر الرحالة ابن بطوطة بان النصارى كانوا على وفاق مع المسلمين في قوله عندما وصل الى البر التركية ((وقصدنا بر التركية المعروف ببلاد الروم، لانها كانت بلادهم في القديم ومنها الروم الاقدمون واليونانية، ثم استفتحها المسلمون وبها الان كثير من النصارى تحت ذمة المسلمين من التركمان))[5].

وهذا يوضح قول ابن بطوطة بان النصارى كانوا تحت ذمة المسلمين ويدفعون الجزية لهم.

وأيضا ذكر ابن بطوطة عندما وصل الى دمشق بان اليهود كانوا يداً واحدة فذكر عندما نزل بهم الطاعون امرهم امير دمشق بالخروج للصلاة جميعا وسائر الطبقات على اختلافها للتضرع الى الله للتخلص من الطاعون بقوله: ((ثم صلوا الصبح وخرجوا جميعاً على اقدامهم وبايديهم المصاحف والامراء حفاة وخرج جميع اهل البلد ذكوراً واناثاً صغارا وكبارا وخرج اليهود والنصارى بانجيلهم ومعهم النساء والولدان وجميعهم باكون متضرعون الى الله بكتبه وانبيائه وقصدوا مسجد الاقدام واقاموا به في تضرعهم الى قرب الزوال وعادوا الى البلد وصلوا الجمعة وخفف الله تعالى عنهم))[6].

ومما سبق فان الرحالة كانت ملاحظاتهم توفر نظرة قيمة عن الحياة السياسية والدينية والاجتماعية لأهل الذمة وعلاقاتهم مع المسلمين وبشكل عام كانت حياة اهل الذمة متفاوتة بين الحين والأخر بسبب دينهم وعقيدتهم.

اليها من المشركين وهي يدفعها اهل الذمة الى المسلمين تؤخذ مع بقاء الكفر وتسقط بحدوث الإسلام فهي موضوعة على الرؤوس واسمها مشتق من الجزاء اما جزاء على كفرهم لاخذها منهم صفاراً واما جزاء على امانا لهم لاخذها منهم رفقاً. الماوردي، أبو الحسن، علي بن محمد بن حبيب البصري (ت: 450هـ-1059م)، الاحكام السلطانية والولايات الدينية، دار الكتب العلمية، بيروت، 1985، ص161.

(1) التطيلي، رحلة بنيامين، ص132.

(2) ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص185.

(3) ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص275.

(4) ابن جبير، المصدر نفسه، ص277.

(5) ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة ، ج2، ص161-160.

(6) ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص76-75.

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم

أولاً: المصادر

- ابن الاثير، أبو الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد (ت: 630هـ-1233م)،

1. الكامل في التاريخ، تحقيق: عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1415هـ-1955م.

- ابن الاثير، مجد الدين ابي السعادات المبارك بن محمد الجزري (ت: 606هـ-1210م)،

2. النهاية في غريب الحديث والاثر، تحقيق: محمود محمد الطناحي وطاهر احمد الزاوي، المكتبة الإسلامية، السعودية، 1963م.

- ابن السكيت، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق (ت: 244هـ-859م)،

3. اصلاح المنطق، تحقيق: محمد مرعي، دار احياء التراث العربي، ط1، 2002.

- ابن المرزبان، أبو محمد عبد الله بن جعفر بن محمد (ت: 347هـ-959م)،

4. تصحيح الفصيح وشرحه، تحقيق: محمد بدوي المفتون، المجلس الأعلى للشؤون العلمية، القاهرة، 1998م.

- ابن بطوطة، محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم (ت: 779هـ-1378م)،

5. رحلة ابن بطوطة تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار، دار الشرق العربي، د.ت.

- ابن جبير، محمد بن احمد بن جبير الكناني (ت: 614هـ-1218م)،

6. رحلة ابن جبير، دار ومكتبة الهلال، بيروت، د.ت.

- ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن حوقل البغدادي (ت: 367هـ-978م)،

7. صورة الأرض، دار صادر، بيروت، 1938م.

- ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن الازدي (ت: 321هـ-933م)،

8. جمرة اللغة، طبعة دائرة المعارف العثمانية، الهند، 1345هـ.

- ابن فارس، أبو الحسين احمد بن زكريا (ت: 395هـ-1005م)،

9. معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ط1، 1979م.

- ابن قيم الجوزية، شمس الدين، ابي عبد الله محمد بن ابي بكر الدمشقي (ت: 751هـ-1351م)،

10. احكام اهل الذمة، تحقيق: عادل سعد، مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، 2004م.

- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين بن محمد بن مكرم الافريقي (ت: 771هـ-1370م)،

11. لسان العرب، دار صادر، بيروت، 1955م.

- أبو يعلي، محمد بن الحسين الفراء الحنبلي (ت: 458هـ-1066م)،

12. الاحكام السلطانية، طبعة عيسى البابي الحلبي، ط2، مصر، 1966م.

- الانباري، أبو بكر محمد بن القاسم بن محمد بن بشار (ت: 328هـ-940م)،

13. الزاهر في معاني اهل الناس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، د.ت.

- البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم (ت: 256هـ-869م)،

14. الجامع الصحيح المعروف بصحيح البخاري، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة

الايمان، مصر، 2003.
- البعلي، محمد بن ابي الفتح بن ابي الفضل (ت: 709هـ-1310م)،
15. المطلع على الفاظ المقنع، مكتبة السوادي للتوزيع، ط1، د.ت.
- التطيلي، بنيامين بن يونه النياري (ت: 569هـ-1174م)،
16. رحلة بنيامين التطيلي، ترجمها عن النص العبري: عزرا حداد، طبعة المجمع الثقافي، الامارات، 2002م.
- الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي (ت: 626هـ-1229م)،
17. دار صادر، ط2، بيروت، 1995.
- السيوطي، عبد الرحمن بن ابي بكر (ت: 911هـ-1506م)،
18. المزهر في علوم اللغة وانواعها، تحقيق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998.
- الطبري، محمد بن جرير (ت: 310هـ-923م)،
19. تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط2، مصر، 1967م.
- القرافي، أبو العباس شهاب الدين احمد بن ادريس بن عبد الرحمن المالكي (ت: 684هـ-1286م)،
20. الذخيرة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، د.ت.
- القزويني، زكريا بن محمد (ت: 682هـ-1284م)،
21. اثار البلاد واخبار العباد، طبعة صادر، بيروت، 1969م.
- الماوردي، أبو الحسن، علي بن محمد بن حبيب البصري (ت: 450هـ-1059م)،
22. الاحكام السلطانية والولايات الدينية، دار الكتب العلمية، بيروت، 1985.
- المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين (ت: 346هـ-958م)،
23. التنبيه والاشراف، تصحيح: عبد الله إسماعيل الصاوي، دار الصاوي، القاهرة، 1938م.
24. مروج الذهب ومعادن الجوهر، تصحيح: شارل بلا، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1966.
- الموصلي، أبو الفتح عثمان بن جنى (ت: 392هـ-1002م)،
25. سر صناعة الاعراب، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.
- اليعقوبي، احمد بن ابي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح (ت: 292هـ-905م)،
26. البلدان، المطبعة الحيدرية، ط3، النجف، 1957م.

ثانياً: المراجع:

- الرحيباني، مصطفى السيوطي،
1. مطالب اولي النهي في شرح غاية المنتهى، المكتب الإسلامي، بيروت، 1994م.
- رمضان، احمد،
2. الرحلة والرحالة المسلمون، دار البيان العربي للنشر والتوزيع.
- الشعار، فواز،
3. الموسوعة الثقافية العامة، اشراق اميل يعقوب، ط1، دار الجيل، بيروت، 1999م.
- مجدي، وهبة، و المهندس، كامل،
4. معجم المصطلحات العربية في اللغة والادب، ط2، مكتبة لبنان، بيروت، 1999م.